

- ١٠٧ -

وكانت لذلك عدة امارات ودلالات من الفكر الجاحظى نفسه ، ومن خلال السطور الجاحظية ذاتها ٠٠

لكن هذه الأقوال لا تكفى وحدها ، وانما لنبحث معا عن الدليل ، وما يشير الى صحة ذلك ، خلال هذا التراث الأدبى الصحفى معا ٠٠

لقد اختلط الجاحظ بجميع الفئات الموجودة فى عصره ، وزار أكثر الأماكن والمواقع أهمية ، وفقرأ أكثر الكتب المعروفة فى زمنه ، أدبية وعلمية ، عربية ومترجمة ٠٠ وسمع وأخذ عن أكثر الرواة ، وأرتحل طلبا للبحث والعرفه والسماع وقد أسفر ذلك كله عن عدد كبير جدا من الأفكار الجديدة ، الأدبية والصحفية معا أو تلك التى يستطيع الأديب أن يعتبرها أدبا ، ويمكن أن نعتبرها صحافة ، أو ذات صلة كبيرة بالصحافة ، والفنون الصحفية ٠٠ وكان من بين هذه كلها على سبيل المثال لا الحصر ومما لم يعرف تقريبا قبل تناوله له ، ولم يلتفت اليه كثرة من كتاب عصره :

١ - فكرته بإفراد كتاب خاص غير مسبوق على المستويين العربى وغير العربى ، يتناول كله ، من الخلافة الى الخلافة « البخلاء » وصورهم وأبرزهم ، وأعجب حكاياتهم ونواديرهم وطرائفهم ، بحيث يمكن أن يمثل هذا الكتاب سلسلة موضوعات اخبارية كثيرة جدا عن هؤلاء القوم ، بل يرتفع بعضها الى مستوى التقارير والتحقيقات المركزة ، فاذا كان ينقصها عنصر : « الصورة الصحفية » فيكفى أنه صورها بقلمه أيدع تصوير ، وقدم لها الصور القلمية المختلفة ، التى لا تقل عن الصور الملتقطة بالكاميرا ، فى بعض الأحيان .

٢ - وبالمثل ، كانت هناك بعض الأفكار الجديدة تماما على « جمهور » هذه الفترات ، من قراء وكاتبين معا ، وهى هنا اقرب ما تكون الى افكار التقارير والتحقيقات والدراسات الصحفية رفيعة المستوى ، من تلك التى يمكن أن تنشرها المجلات اليوم ، وكذا الصحافة الأسبوعية ، مع اختلاف فى الأسماء والمواقع والظروف وطرق ووسائل النشر ، وكان من بين هذه على سبيل المثال لا الحصر الأفكار الآتية كلها ، والتى تناولتها كتابات الرجل :

« حيل اللصوص - حيل لصوص الليل - حيل لصوص النهار - الفش والغشاشون - زئوج البصرة وعاداتهم وتقاليدهم - نخيل البصرة - أساطير